شبهة وههنا مرتبة أخرى من التأويل أبدعها النحرير الدواني
وهي أن اللفظ قد يوضع في أصل اللغة لعام يشتهر في بعض أفراده
لخصوصية بحيث يصير حقيقة عرفية في ذلك الفرد كالميزان
فإنه في الأصل لما يوزن به من أي نوع كان كميزان المياه والذراع والأفكار
والذهب وغير ذلك ثم لما تداول في الأسواق الميزان المعلوم لما
يفهم عرفا إذا أطلق أنه الميزان الموضوع له لفظ الميزان فيقال ميزان
المياه ونحوه مجاز وكذا الحال في كثير من الألفاظ الدائرة في الكتاب
والسنة واشتبه على الناظرين ففاتت عنهم الحقائق وعلى هذا فيحتمل
أن الحقيقة اللغوية إظهار صفة الكمال ولما كان الإظهار القولي
أظهر أفراده شاع فيه كأنه حقيقة عرفية مع أنه أعم وضعا فالتعريف
للمعنى العرفي وأصل الوضع أعم أو هو قيد غالبي فاشتبه والحمد إظهار صفة
الكمال وهذا تدقيق حسن إلا أنه احتمال في مسئلة نقلية ولا يحصل الوثوق
به إلا إذا تأيد بنقل موثوق به ويمكن تأييده بأن المعرفين استنبطوا
بعض القيود من كلام اللغويين والاستنباط من كلام الله
ورسوله أولى بالاعتبار وفيه أن كلام الله عز وعلا يحتمل وجها آخر
أو وجوها من الوضع للقول والمجاز كما فصلناه فلا يؤيد الوضع للإظهار
مطلقا إلا إذا ترجح ذلك الاحتمال ويمكن الترجيح بتدقيق النظر بأن الإظهار
الفعلي أتم وأكمل فلا يليق أن لا يخرج من الحمد ولا يختص بالناقص وأهل
اللغة كانوا دقيقي النظر مراعين للمناسبات فالظن أنهم لم يتركوا تلك
المناسبة فتأمل ومما حصله رحمه الله كثير المناسبة مع ما مر من
أن المراد هو القول مطلقا وهو أقرب إلى كلام القوم والنفس إليه أميل
وعلى ما قرر من أنه الإظهار فالظاهر أنه لا يعم الاعتقاد وإن صدق
عليه أنه ينبئ عن التعظيم **المسئلة الثالثة** أن ذكر على قسمين
أحدهما ذكر يفهم منه جميل مخصوص بخصوصه أو عمومه أو إطلاقه ثانيهما
ذكر يفهم منه الجميل المطلق من غير تعيين كما إذا قيل أنت متصف
بالجميل

(في الهامش: أي تعريف الحمد)

بالجميل وكل منهما إما أن يفهم منه صريحا أو التزاما لازما قطعيا أو عرفيا
أو ظنيا كما إذا قيل كثير الرماد مرادا به كثير الضيف وهل يعتبر لزوم ظاهر
أو الأعم منه ومن الخفي غاية الخفاء والضعيف كل الضعف وأعم منه ومن
الوسط فيه تردد وبهذا التعميم السابق صار قولنا أحمد الله والحمد لله
ونحوهما حمدا للدلالة على اتصاف الله بالمحمود به المفهوم من ثبوت الحمد ولما
كان ذلك مجملا لم يعلم منه أنه يتصف بأي صفة من المطلق أو العام أو المخصوص
سموها دلالة إجمالية أو تفصيلية ولك أن تقول إنه حمد إجمالي فهو بمنزلة
أنت متصف بالجميل مطلقا ويمكن الفرق بأن فيه خصوصية الإطلاق وأن
والحمد لله أعم منه إلا إذا أريد بالجميل المطلق لا بقيد الإطلاق فيشمل
الخاص والعام والمطلق بقيد الإطلاق فيساوي أحمد الله فافهمه فإنه دقيق
المسئلة الرابعة قد عرفت أن قولنا الحمد لله وأحمد الله حمد للدلالة
على الاتصاف بالكمال كما صرح به سيد المحققين الشريف العلامة واعترض
عليه سند المدققين النحرير الدواني روح الله روحهما بما حاصله أنا لا نسلم
دلالته على الاتصاف فلا يكون وصفا بالجميل إذ الوصف ما يدل على الاتصاف
وإنما قلنا إنه لا يدل لصدقه مع كذب الاتصاف بخلاف أنت متصف بالكمال
فإنه لا يصدق بدونه وتوضيح الاعتراض أن الوصف إجراء الصفة على شخص
وإسنادها إليه بأن يذكر ما يلزم من ثبوت مضمونه اتصافه بصفة بأن
يقال هو غني أو كريم ولا يلزم من ثبوت الحمد لله إلا ثبوت الوصف بثبوت
الصفة لجواز الوصف بما ليس في الموصوف في الواقع فالوصف بثبوت
الحمد لا يدل على ثبوت الجميل الذي هو المحمود به فإثبات الحمد لشخص لا يكون حمدا
لغويا لأنه بمنزلة أن يقال إذا قوله أو يقال إنك متصف والفرق ظاهر
ولا لزوم بينهما إذ الثاني لو ثبت مضمونه يلزم منه الاتصاف والأول لو ثبت
مضمونه يلزم دعوى الاتصاف وذكره لا بنفسه فافهمه فإنه دقيق أوضحته
كل الإيضاح وأجاب النحرير الدواني تارة بأن الحمد لا بد فيه من قصد
التعظيم فكأنه قال أعظمك وتعظيم الغير فرع اعتقاد كماله فيه بداهة فكأنه

Copyright © King Saud University